الوجوه البيضاء

info@darak-egy.com

02 24832669-010 27251915

51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

الوجوه البيضاء

اسم النص الأصلي: THE WHITE PEPOLE

اسم المؤلف: أرثر ماكين

ترجمة: د. أحمد تركي

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 20121/13115

الترقيم الدولي: 978-977-6634-61-9

الطبعة الأولى: 2021

أرثر ماكين

الوجوه البيضاء

رواية

ترجمة

د. أحمد تركي

دارك
للنشر والتوزيع

- سرد ماكـين انتصـار للانتقـاء البـارع، والتحفـظ، فتتراكـم قـوة هائلـة أثنـاء سريانهـا في تيـار مـن كلام الأطفـال العبثـي الـبريء.

هوارد فيليبس لافكرافت-في مقالته الطويلة: رعب الماورائيات في الأدب-١٩٢٧

- يُعتـبر الـسرد في (الكتـاب الأخـضر) هـو الأفضـل غالبًـا في قصـص ماورائيـات القـرن التاسـع عـشر، وربمـا في النـوع الأدبي كلـه.

إ. ف. بلايلر-صحفي وناقد أمريكي-في كتابه الدليل إلى خيال الماورائيات-١٩٨٣

- إذا كنت سأُرتب أفضل قصص الماورائيات في كل العصور في قائمة، سأضع (الوجوه البيضاء) لأرثر ماكين على القمة..

مايكل ديردا-ناقد أمريكي وفائز بجائزة بوليتزر- في مقاله: أربع (مجلات مُعجبين) أدبية تستطيع إنقاذ حياتك، أو تجعلك أقل وحدة على الأقل-الواشنطن بوست-٢٠١٨

- اليوميات الموجودة في القصة قطعة أستاذية مُخادعة، حبكة لافكرافتية يسردها جيمس جويس.

س. ت. جوشي-كاتب وناقد ودارس لأدب الماورئيات، وبخاصة أعمال لافكرافت وسيرته-في كتابه الحكاية العجيبة-١٩٩٠

تمهيد

- الشعوذة والقداسة، هما الحقيقتان الوحيدتان، كلتاهما حالة من النشوة، انسحاب من الحياة المُعتادة.

قالها أمبروز، فاستمع إليه كوتجريف باهتمام.

جاء بكوتجريف صديق مُشترك، إلى منزل يتداعى بإحدى الضواحي الشمالية، عبروا حديقة قديمة ليصلوا إلى الغرفة التي ينعزل فيها أمبروز عن العالم، فيَنعِس ويحلُم فوق كُتبه.

استطرد أمبروز:

- بالطبع، يُعرَف السحر بأثره على أولاده. هُناك كثيرون، حسبما أظن، ممن يأكلون كسرات خبز جافة ويشربون الماء فحسب، ببهجة لا نهائية، أكثر حدة من أي تجربة يمرُّ بها إنسان ذواقة ذو حسٍ مُرهف تجاه الطعام والشراب.

- تتحدث عن القديسين؟

- نعم، وعن الخطّائين كذلك. أظن أنك تقع في خطأ التعميم بتقييد عالم الروحانيات بالخير الأعظم، لكن للشر

الأعظم بالضرورة نصيبه من الأمر. حتى الإنسان الشهواني، الفاسق إلى حدٍّ ما، لا يُمكن أن يُصبح خطاءً عظيمًا أكثر من إمكانية كونه قديسًا عظيمًا. مُعظمنا كائنات لا تُبالي، مُشوشو الأذهان؛ نتخبط في سيرنا في الأرض دون أن نُدرك معاني ووعي الأشياء، وبالتالي، نعتبر شرنا وطيبتنا أمرين مُتشابهين، وغير ذوي أهمية بنفس القدر في مرتبة تالية.

- وتظن أن خطاءً عظيمًا حينها، سيغدو ناسكًا، كما هو حال أي قديس عظيم؟

- ينبذ العُظماء بكل أطيافهم النسخ الناقصة غير المُكتملة، ويُفضلون الأصول الكاملة. ليس عندي أي شكٍّ أن العديد ممن يُصنفون كقديسين كبار لم يرتكبوا (فعلًا جيدًا) أبدًا، باستخدام الكلمات بمعناها الاعتيادي. وفي المُقابل، هناك من طَرقوا أبواب أعماق الخطايا السحيقة، ولم يرتكبوا في حياتهم أبدًا (فعلًا مُشينًا).

وخرج من الغرفة لوهلة، فالتفت كوتجريف إلى صديقه، وبدا مسرورًا للغاية وهو يشكره على هذه المُقابلة.

قال كوتجريف:

- رجل مُسلٍ، لم أرَ مجذوبًا من مثل هذا النوع من قبل.

عاد أمبروز بالمزيد من الويسكي، وصب للرجلين الشراب

بكل تحضر، سب بعدها بضراوة جماعة المُتمتعين عن الخمر، وهو يوزع الماء الفوار، ثم صبَّ لنفسه كوبًا من الماء، وكان على وشك استكمال مُناجاته لنفسه، حين قاطعه كوتجريف:

- أتعرف؟ لا يُمكنني تحمل هذا، مُفارقاتك متوحشة جدًّا. ربما يكون الرجل خطَّاءً كبيرًا دون أن يرتكب أي خطيئة! بحقك!

فقال أمبروز:

- أنت مُخطئٌ تمامًا، أنا لا أصنع المُفارقات، أتمنى بجدية لو أستطيع فعل ذلك، قلت فحسب أن رجلًا يملك تذوُّقًا مُرهفًا تجاه النبيذ عالي الجودة، لن يقرب أبدًا الجعة الرخيصة، هذا كل ما بالأمر. كلامي أقرب للحقائق البديهية من المُفارقات، أليس كذلك؟ ملاحظتي باغتتك لأنك لا تُدرك بعد ماهية الخطيئة. الأمر كما أقول لك، هناك نوع من الارتباط ما بين الخطيئة كمفهوم، وبين الأفعال الآثمة كما نَصِمُها؛ كالقتل والسرقة والزنا وما إلى ذلك. وهي تُشبه إلى حدٍ كبيرٍ العلاقة بين حروف الأبجدية والأدب الراقي. ولكني أؤمن أن سوء الفهم هذا -وهي مُعضلة عالمية- ينبُع بدرجة كبيرة من نظرتنا إلى الأمر باستخدام منظار اجتماعي. فنحن حين نرى رجلًا يرتكب أفعالًا شريرة ضدنا وضد جيرانه، فلا مفرّ أن نعتقد بكونه شريرًا للغاية. وهو كذلك بالفعل، من

منطلق اجتماعي؛ لكن ألا تستطيع إدراك أن الشر في جوهره هو مسألة مُنعزلة، شغف لدى روح وحيدة، مُتفردة؟

أُحدثك بصدق، القاتل العادي، بوصفه قاتلًا ودون الأخذ بأي اعتبارات أخرى، ليس مُذنبًا بالمعنى الحقيقي للكلمة، وبأي حالٍ من الأحوال.

إنه بهيمة طائشة، يجب أن نتخلص منها لنُنقذ رقابنا من سكينه. أُفضل تصنيفه مع النمور خيرًا من وضعه مع الخطَّائين.

- كلامك يبدو غريبًا!

- لا أرى ذلك، لا يقتل القاتل بسبب دوافع إيجابية، بل دوافعه سلبية، ينقصه شيءٌ يمتلكه غير القتلة. الشر في مُجمله شيء إيجابي، المشكلة فقط أنه في الجانب الخطأ بالطبع. ربما تصدق قولي بأن الخطيئة بالمعنى الصحيح لها مسألة في غاية النُدرة؛ ويُحتمل كذلك أن عدد الخطَّائين أقل بكثير من أعداد القديسين. نعم، النقطة التي تنطلق منها جيدة جدًّا من النواحي العملية والاجتماعية، فنحن نميل بطبيعتنا للاعتقاد بأن شخصًا ما ذا طباعٍ سيئة جدًّا -بالنسبة لنا- لهو من أعظم الخطَّائين! السرقة مثلًا طبعٌ سيء بالتأكيد، ونحن نجهر أن السارق خطاء عظيمٌ. وهو

في حقيقـة الأمـر، إنسـان غـير مُتحـضر فحسـب، لـن يكـون قديسًـا بالطبـع؛ ويُحتمـل أن يكـون -وهـذا يحـدث- أفضـل بكل الطـرق مـن آلاف البـشر الذيـن لم يكـسروا وصيـة واحـدة مـن الوصايـا العـشر طيلـة حياتهـم. وأعـترف أنـه مصـدر إزعـاج لنـا، وسـنحتجزه غالبًـا حـين نُمسـك بـه، ولكـن؛ ارتبـاط أفعالـه المُزعجـة المُعاديـة للمجتمـع بالـشر مـن أضعـف مـا يكـون.

بـدأ الوقـت يتأخـر، وقـد اسـتمع الرجـل الـذي جـاء بكوتجريـف لـكل هـذا الـكلام مـن قبـل، إذ أنـه أيَّـد الـكلام بابتسـامة حكيمـة لطيفـة، أمـا كوتجريـف فبـدأ يتفكـر في تحـول ذاك المجـذوب إلى رجـلٍ حكيـمٍ، قـال بعدهـا:

- أتعـرف؟ لقـد أثـرت فضـولي العـارم، إذًا نحـن لا نفهـم طبيعـة الـشر الحقيقيـة حسـب ظنـك؟

- لا، لا أظـن ذلـك. نحـن نُعظِـم ونُبخِـس مـن قـدره، الأمـران في ذات الوقـت، وعندمـا تُخـرَق قوانينـا الاجتماعيـة الصُغـرى؛ أعنـي التنظيـمات الضروريـة للغايـة والمُلائمـة والتـي تعمـل عـلى إبقـاء البـشر مُرتبطـين ببعضهـم، لمـراتٍ معـدودة، يُصيبنـا الهلـع بسـبب غلبـة الخطايـا والـشرور. وهـذا هُـراء فعـليّ. فلنأخـذ السرقـة كمثـال؛ هـل نخـاف بـأي شـكلٍ مـن الأشـكال مـن ذِكـر روبـن هـود، وقُطـاع طـرق الأراضي المُرتفعـة في القـرن السـابع

عشر، وفُرسان المُستنقعات[1] النهابين، أو المروجين بشراسة للشركات الجديدة في أيامنا هذه؟

وعلى الجانب الآخر، نحن نقلِّل من قدر الشر في أحايين كثيرة، ونُلصق أهمية هائلة بخطيئة التطفل على ما في جيوبنا، أو على نسائنا، لدرجة أننا نسينا مقدار شناعة الخطيئة في الحقيقة.

فقال كوتجريف:

- وما هي الخطيئة؟

- أظن أني سأُجيبك بسؤالٍ آخر: ما هو شعورك حين يبدأ قطك أو كلبك بالتحدث إليك؟ أسألك بجدية، أو حينما يُجادلك عن لهجات لغات البشر؟ سيغشاك الرعب غالبًا، أنا متأكد. وماذا لو تغنَّى الورد في حديقتك بأغنية غريبة؟ سيُصيبك الجنون. أو افترض أن الأحجار في الطرقات بدأت تتضخم أمام عينيك، وأن الحصى الذي رأيته بنفسك ليلًا قد أنبت أزهارًا حجرية وأغرق الدنيا في الصباح؟

- هذه الأمثلة ستمنحني انطباعًا ما عن الطبيعة الحقيقية للخطيئة؟

هُنا قال ثالثهما، والذي كان ساكنًا حتى تلك اللحظة:

---

1) مجموعة من الهجَّامين الأسكتلنديين بدأ ظهورهم في القرن الرابع عشر، واشتد عودهم في منتصف القرن السابع عشر، نشطوا على الحدود بين إنكلترا وأسكتلندا، حتى زمن الاسترداد عام 1660، بعودة الملك شارل الثاني من المنفى.

- انظـرا، لا أعـرف كيـف سـينتهي بكـما المـآل، ولكني سـأعود إلى بيتـي، لقـد فاتنـي الـترام المجـرور بالخيول، وسـأعود سـيراً.

توطـد اسـتقرار أمـبروز وكوتجريـف بشـكل أعمـق بعـد رحيـل الرجـل، وغيابـه وسـط الضبـاب الصباحـي الباكـر، وأضواء القناديـل الخافتـة.

قال كوتجريف:

- كلامـك يُبهـرني، لم أُفكـر في مثـل هـذا مـن قبـل، لـو أن الأمـر كذلـك، يجـب أن نقـلِب كل شيء رأسًـا عـلى عقـب، حينهـا، سـيكون جوهـر الخطيئـة الحقيقـي هـو..

قاطعه أمبروز:

- كأن تـضرب السـماوات العليـا بعواصـف عاتيـة، هكـذا يبـدو الأمـر لي ببسـاطة، كأنـك تحـاول النفـاذ إلى نجـم علـوي آخـر غـير أرضنـا، وبأسـلوبٍ يُحظَـر اسـتخدامه، أظنـك تفهم الآن لمـاذا لا يحـدث ذلـك كثـيراً، هُنـاك بالتأكيـد قلائـل أرادوا النفـاذ إلى نجـوم علويـة أو سـفلية أخـرى، وبطـرق ممنوعـة أو مُجـازة. يحمـل النـاس في مجموعهـم رضـا وفـيراً بالحيـاة كـما يجدونهـا، ولهـذا نجـد القليـل مـن القديسـين، وخطّـائين بعـدد أقـل بكثـير، بالمعنـى المعـروف لـك، وكذلـك.. العباقـرة في غايـة النـدرة، وقـد تتشـاطر شـخصية العبقـري جوانـب مـن الناحيتـين السـابقتين.

نعـم، أن يكـون المـرء خطّـاءً عظيـمًا، فـذاك أكـثر صعوبـة

من كونه قديسًا عظيمًا، هذا مُحتمل، أقول مُحتمل!

- هل تقصد أن هُناك أمرًا ما ورائي بشكل كامل حين نتحدث عن الخطيئة؟

- بالضبط، تحتاج القداسة لمجهودٍ عظيمٍ، لكنها تعمل على خطوط رسمتها الطبيعة ذات مرة، في مجهودٍ مبذولٍ لاستعادة النشوة القديمة قدم خروج آدم من الجنة، أما الخطيئة فهي جهدٌ مبذول لاستعادة النشوة والمعرفة التي يختص بها الملائكة وحدهم، وببذل ذلك المجهول، أضحى الإنسان شيطانًا.

قلت لك أن القاتل المحض ليس مُذنبًا بناءً على ذلك، هذه ما أراه حقًّا، وكذلك قد يُصبح الخطَّاء قاتلًا، خُذ جيل دو رييز [2] كمثال.

وبذلك ترى أن الخير والشر أمران غير طبيعيين بالنسبة لما هو عليه الإنسان المُعاصر -الكائن المُتحضر والاجتماعي- ولكن الشر غير طبيعي بمعانٍ أكثر تعمُقًا؛ سعي القديس لاستعادة هدية فقدها، ومحاولة المُذنب الاستحواذ على شيء لم يكن ملكه أبدًا. باختصار: الإنسان يُكرِّر خروجه من الجنة.

2) Gilles du rais (1405-1440): فارس ولورد من دوقية بروتاني بشمال فرنسا، وقائد بالجيش الفرنسي ومُرافق لجان دارك، حارب معها الإنجليز في حرب المائة عام، اشتهر تاريخيًا بمُمارسة الشعوذة وعبادة الشيطان والقتل الطقوسي والاغتصاب في آخر أيامه، اعترف بقتله لما يربو عن مائة وأربعين طفلًا، أُعدم شنقًا في نانت عام 1440

سأله كوتجريف:

- أأنت كاثوليكي؟

- أنا عضو في الكنيسة الإنجيلية المُضطهدة.

- إذًا، ماذا عن النصوص التي تضع اعتبارًا للخطيئة يُخالف ما تعتبره مجرد قصور فهمٍ مُبتذَل؟!

- جميلٌ، لكن في أحد المواضع في الكتاب المُقدَّس، يأتي ذِكر المُشعوذ مع الخطيئة في ذات الجملة، أليس كذلك؟[٣] هذا يُشير إلى الفكرة المُفتاحية.

تمهل قليلًا، فكر معي مليًا، هل تتخيل أن إفادة كاذبة قد تُنقذ حياة إنسان بريء، هي خطيئة؟!

-كلا..

جيد جدًّا، إذًا فلن نستثنى الكاذب المحض مما تحدثنا عنه، الخطيئة ترتبط (بالمُشعوذين)، فوق كل شيء، الذين يستخدمون مادية الحياة، ويستعينون بالعيوب الطارئة على الحياة المادية كأدواتٍ توصلهم لأغراضهم الآثمة. ودعني أزيدك، حواسنا العليا تبلدت جدًّا، تشبعنا حد الاختناق بالمادية، لدرجة أننا سنفشل على الأرجح في تمييز الآثام الحقيقية حين نُلاقيها.

3) راجع سفر أعمال الرسل، 8: 9-24، قصة سيمون أو سمعان الساحر السامري

- ولكـن.. ألا يجـب أن نُعايـش رُعبًـا مؤكَّـدًا، أمـرٌ مُخيـف كـما سبق وذكـرت، كشجرة أو زهـرة تُغنـي، وفي وجـود إنسـان ذي شرٍ مُطلـق؟

- يجـب ذلـك إذا كانـت طبائعنـا نقيـة، سيشـعر الأطفـال والنسـاء بالرعـب الـذي تقصـده، وكذلـك الحيوانـات إن عايشـوه، لكـن العـادات والأعـراف، وكذلـك التمـدن والتعليـم، أعمـوا وأصمـوا وحجبـوا الأسـباب الطبيعيـة لـدى الغالبيـة منَّـا. وسـنتعرف في بعـض الأحيـان عـلى الـشرِّ بكراهيتـه لمـا هـو خـيرٌ، لا يحتـاج أحدنـا ذهنًـا بالـغ الحـدة والـذكاء ليُخمِـن مقـدار التأثـير الـذي أملتـه مُراجعـات جريـدة (بلاكـوود) النقديـة لأشـعار جـون كيتـس[4]، ودون وعـي غالبًـا، وكذلـك، كقاعـدة بالنسـبة لي، أشـك أن كهنـة توفـة[5] نفـدوا بجلدهـم دون أن يُلاحظهـم أحـدٌ، أو ربمـا، في حـالات مُعينـة، كانـوا كالخطَّائـين، عـلى ذات القـدر مـن فعـل الخـير.

4) جـون كيتـس (1795-1821): شـاعر رومانـسي إنجليـزي، هاجمـه النُقـاد بـضراوة في جريـدة بلاكـوود هـو ومجموعـة مـن الشـعراء لأسـباب سياسـية واجتماعيـة، موجهـة ناحيـة الشـعراء صغـار السـن الذيـن تلقـوا قسـطًا ضعيفًـا مـن التعليـم، ولا ينتمـون للطبقـات المجتمعيـة العليـا، فاتهموهـم بضعـف الإلقـاء والقـوافي.

والإشـارة هنـا تـأتي لقـول لوكهـارت -وهـو أحـد النقـاد- موجهًـا كلامـه لكيتـس: مـن الأفضـل لـك أن تكـون صيدلانيًـا يتضـور جوعًـا، عـلى أن تكـون شـاعرًا يتضـور جوعًـا، عُـد يـا سـيد جـون إلى حانوتـك، إلى البلاسـتر والأقـراص وعلـب المراهـم.

ربمـا لم يـدرك كاتـب النقـد تأثـير الكلـمات عـلى كيتـس، لكنـه أصابـه بحالـة نفسـية سـيئة، رغـم أن كيتـس يُعـد حاليًـا مـن أعظـم الشـعراء الإنجليـز.

5) توفـة: موقـع في بيـت المقـدس، ذُكـر في العهـد القديـم، كان أتبـاع الديانـة الكنعانيـة القديمـة يًضحـون فيـه بالأطفـال لآلهتهـم مولـوخ وبعـل، بحرقهـم أحيـاء.